معنى الشهادة

د .ماجد كارم

ما هو الدليل على أن العبد لا يدخل الإسلام إلا بمعرفته معنى الشهادتين ؟

☜معنى الشــهادة : (لاإله إلا اللّه) والشهادة تعني العلم والأعلام والأخبار والبيان ولهذا سمي الشاهد شاهداً لأنه يخبر بما علم ، والبيان والأخبار كما يكون بالقول يكون بالفعل ، فمن الشهادة بالفعل قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أنفسهم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [سورة التوبة ١٧/٩] فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه أي أن أفعالهم بينت أنهم كفرة ، وتتضمن كلمة الشهادة الإقرار والإعتراف والإعتقاد فإن الشاهد يعتقد صحة ما يشهد به ويخبر عنه ، فإذا شهد بما لايعتقده كانت شهادته كاذبة لأن إخبارهِ لايطابق إعتقاده

قال اللّه تعالى : ﴿ إذاجَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أنكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أنكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أن الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ "[سورة المنافقون ١/٦٣] .. فهم كاذبون لأنهم لايعترفون بصحة مايقولون ولايعتقدون مايقولون

يقول ابن أبي العز الأذرعي شارح العقيدة الطحاوية " وعبارات السلف في شهد تدور على الحكم والقضاء والأعلام والبيان والأخبار ، وهذه الأقوال كلها حق لاتنافي بينها فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه فلها أربع مراتب فأول مراتبها علم ومعرفة ، وإعتقاد لصحة المشهود وثبوته) .اهـ

وقال ابن تيمية "والشهادة : لابد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه ، لايحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور" اهـ

وقال القرطبي / في قوله تعالى :﴿ وَلا يَمْلِكُ الذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف ٤٣/٨٦] .. والمعنى ولايملك هؤلاء الشفاعة إلا من شهد بالحق : آمن على علم وبصيرة ، قاله : سعيد بن جبير وغيره ، قال وشهادة الحق (لاإله إلاالله)....(وَهُمْ يَعْلَمُونَ) : حقيقة ما شهدوا به .

وقوله تعالى : "إلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" يدل على معنيين : أحداهما : أن الشهادة بالحق غير نافعة إلا مع العلم وأن التقليد لايغني مع عدم العلم بصحة المقالة والثاني : أن شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالماً بها ونحوه ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت مثل الشمس فأشهد وإلا فدع"

قال ابن كثير:" هذا إستثناء منقطع أي : لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له"

وقال القرطبي :" قوله : " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له " أي : أنطق بما أعلمه وأتحققه ، وأصل الشهادة للأخبار عما شاهد المخبر بحسه ، ثم قد يقال : على مايحققه الإنسان ويتقنه وان لم يكن شاهداً للحس لأن المحقق علماً كالمدرك حساً ومشاهدة "

وقال النووي:" وفيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين ، مع إعتقادهما ، وإعتقاد جميع ماأتى به رسول صل الله عليه وسلم، وقد جمع ذلك صل الله عليه وسلم بقوله :"أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به"

وأخرج الشيخين عن عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: " من شهد أن لا إله إلااللّه وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد اللّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله اللّه الجنة على ماكان من العمل"

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب : " وقوله (من شهد) ، لاريب أن الشهادة لاتكون شهادة إلا إذاكانت عن علم ويقين وصدق وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولاتنفع ، فيكون الشاهد في هذه الحالة كاذباً بمعنى الذي شهد به" .اهـ

يقول الشيخ سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب :
وقوله: " من شهد أن لا إله إلااللّه "أي : من تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها ، عاملا بمقتضاها باطناً وظاهراً ، كما دل عليه قوله : " فاعلم أنه لاإله إلااللّه".
وقوله :" إلامن شهد بالحق وهم يعلمون " أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولاعمل بمقتضاها ، فإن ذلك غير نافع بالإجماع
وفي الحديث ما يدل على هذا ، وهو قوله : (من شهد) إذ كيف يشهد وهو لايعلم ، ومجرد النطق بشيء لايسمى شهادة به"اهـ

يقول الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي "أي من تكلم بها عارفاً لمعناها ، عاملا بمقتضاها ، باطناً وظاهراً ، فإن الشهادة تقتضي العلم بالمشهود به "اهـ

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن "وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح (شهادة أن لا إله إلا اللّه) يقتضي أن يكون الشاهد عالما بأنه لا إله إلا اللّه ،كما قال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا اللّه) اهـ

ويقول أيضا " "قوله : (من شهد أن لا إله إلا اللّه) أي : من تكلم بها عارفاً لمعناها ، عاملا بمقتضاها ، باطناً وظاهراً فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها ، كما قال تعالى : " فاعلم أنه لاإله إلا اللّه" وقوله : " إلامن شهد بالحق وهم يعلمون" أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولايقين ولاعمل بماتقتضيه ، من البراءة من الشرك ، وإخلاص القول والعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح - فغير نافع بالإجماع" اهـ

يقول صاحب الظلال عند قوله تعالى : "وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ""وكل من ينطق بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه لايقال له أنه شهد ، إلا أن يؤدي مدلول هذه الكلمة ومقتضاها"فهذه بعض أقوال علماًء السلف وغيرهم على سبيل المثال لا الحصر ، ومن هنا يتبين أن الشهادة لاتسمى شهادة إلا إذاكانت عن علم ويقين وصدق ، لاعلى مجرد التلفظ الذي لايحمل معنى .

قال القرطبي في : (المفهم على صحيح مسلم) ؛ باب لايكفي التلفظ بالشهادتين بل لابد من إستيقان القلب " هذه الترجمه تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان وأحاديث هذا الباب تدل على فساده ، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافقين بالإيمان الصحيح ، وهو باطل قطعا "

والمنافقون إنما ثبت لهم عقد الإسلام ظاهراً فقط وإنما يعرف نفاقهم من قرائن تظهر منهم تدل على فساد دينهم ، وأن لم تصل إلى حد الكفر الصراح في مدلولها أو ثبوتها عليهم وإلا فإن دلت عليهم أو ثبتت أقيم عليهم حكم الردة ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لذلك المنافق الذي تحاكم إلى كعب بن الأشرف .

كمـــا يقول ابن القيم : "فأحكام الرب تعالى جارية على مايظهر للعباد مالم يقم دليل على أن ماأظهروه خلاف ماأبطنوه"

والعلم بالشئ واعتقاده فرع عن تصوره فكيف يحكم لجاهل الشهادة بها

☜قال جل وعلا { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إله إلا اللّه }

←قال الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" (٢/ ١٦٨-١٦٤) الثَّانِي: مَا لَا يُعْذَرُ وَاحِدٌ بِجَهْلِهِ، وَهُوَ مَا تَتَبَادَرُ الْأَفْهَامُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَعْنَاهُ مِنَ النُّصُوصِ الْمُتَضَمِّنَةِ شَرَائِعَ الْأَحْكَامِ وَدَلَائِلَ التَّوْحِيدِ، وَكُلُّ لَفْظٍ أَفَادَ مَعْنًى وَاحِدًا جَلِيًّا لَا سِوَاهُ يُعْلَمُ أَنَّهُ مُرَادُ اللَّهِ تعالى. فَهَذَا الْقِسْمُ لَا يَخْتَلِفُ حُكْمُهُ، وَلَا يَلْتَبِسُ تَأْوِيلُهُ، إِذْ كُلُّ أحَدٍ يُدْرِكُ مَعْنَى التَّوْحِيدِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إله إلا اللّه، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ لَا مَوْضُوعَةٌ فِي اللغة للنفي، وإلا لِلْإِثْبَاتِ، وَأَنَّ مُقْتَضَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْحَصْرُ، وَيَعْلَمُ كُلُّ أحَدٍ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ مُقْتَضَى قَوْلِهِ تعالى: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وَنَحْوَهَا مِنَ الْأَوَامِرِ طَلَبُ إِدْخَالِ مَاهِيَّةِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي الْوُجُودِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ صِيغَةَ افْعَلْ مُقْتَضَاهَا التَّرْجِيحُ وُجُوبًا أَوْ نَدْبًا، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ يَدَّعِي الْجَهْلَ بِمَعَانِي أَلْفَاظِهِ؛ لِأَنَّهَا مَعْلُومَةٌ لِكُلِّ أحَدٍ بِالضَّرُورَةِ. " اهـ

ما هو الدليل على أن العبد لا يدخل الإسلام إلا بمعرفته معنى الشهادتين ؟

١-قال اللّه تعالى : " فاعلم أنه لا اله إلا اللّه " [محمد: ١٩]

٢-وقال اللّه تعالى : "ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون " [الزخرف: ٨٦]

٣- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال :- قال رسول اللّه : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه فمن قال لا إله إلا اللّه عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على اللّه ."

٤- وعن أبي هريرة عن رسول اللّه قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا اللّه ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّه " .

٥- وعن عبد اللّه بن عمر قال :- قال رسول اللّه :- " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّه . "

.وعن أبي مالك عن أبيه قال :- سمعت رسول اللّه يقول :-"من قال لا اله إلا اللّه وكفر بما يعبد من دون اللّه حرم ماله ودمه وحسابه على اللّه). وفي رواية أنه سمع النبي يقول (من وحد اللّه .. ثم ذكر مثله). (رواه مسلم)

هذه الروايات تنص على أن القتال مشروع إلى أن (يقولوا) وفي رواية (يشهدوا) وفي رواية (من وحد اللّه) وفي رواية (وكفر بما يعبد من دون اللّه) وفي رواية أضاف (ويؤمنوا بما جئت به) فهذه الروايات كلها تدل على أن العلم بمعنى الشهادتين شرط في عصمة المال والدم . أي أن العبد لا يدخل الإسلام إلا بمعرفته معنى الشهادتين .

" فاعلم أنه لا إله إلا اللّه " العلم بمعني الشهادتين

في تفسير حديث رسول اللّه والذي رواه عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه (من شهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسي عبد اللّه ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله اللّه الجنة على ما كان من العمل .)الصحيحين

☜قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (قوله (من شهد أن لا إله إلا اللّه) أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملاً بمقتضاها، باطناً وظاهراً، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال اللّه تعالي " فاعلم أنه لا إله إلا اللّه " وقوله " إلا من شهد بالحق وهم يعلمون " أما النطق بها من غير معرفة لمعناه ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه – من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل – قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح – فغير نافع بالإجماع.اهـ

☜قال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم:

باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين بل لابد من استيقان القلب، هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان. وأحاديث هذا الباب تدل على فساده. بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها. ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعياً . أ.هـ

وفي هذا الحديث ما يدل على هذا. وهو قوله(من شهد) فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق أ.هـ **فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد صـ ٤٠ – ٤١.**

☜ -**وفي قرة عيون الموحدين في شرح نفس هذا الحديث الشريف** :

وقال (وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفياً وإثباتاً. فنفت الألوهية عن كل ما سوى اللّه بقولك (لا إله) وأثبتت الألوهية للّه بقولك (إلا اللّه) قال تعالى " شهد اللّه أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " فكم ضل بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الأكثرون." أ. هـ قرة عيون الموحدين

☜ -**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن**

"لا يصح لأحد إسلام إلا بمعرفة ما دلت عليه هذه الكلمة- أي كلمة التوحيد- من نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وممن فعله ومعاداته وإخلاص العبادة للّه وحده لا شريك له والموالاة في ذلك"

☜ -**قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن**

في القرة تعليقا على حديث معاذ حين بعثه النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى اليمن فقال له " إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللّه " وفي رواية "إلى أن يوحدوا اللّه " الحديث .

☜قال الشيخ "قوله " فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللّه " وكانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة للّه وحده وترك عبادة ما سواه فكان قولهم لا إله إلا اللّه لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك .

←ونذكر كلاما يكتب بماء الذهب للشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن حيث قال

" قال محمد بن عبد الوهاب " ومجرد الإتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلما بل هو حجة على ابن آدم خلافا لمن زعم أن الإيمان مجرد الإقرار" .

فعلم أن من أتى بلفظ الشهادة وهو يجهل معناها ولا يعمل بمقتضاها لا يكون بذلك مسلما ومن هنا نعرج إلى مسألة التقليد فالمقلد جاهل قال تعالى عن المشركين" قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون" فلم يعذرهم ربنا تبارك وتعالى هنا .فالمقلد كما أسلفت جاهل وجاهل التوحيد كافر

☜قال عبد الرحمن بن حسن " فلا إله إلا اللّه هي كلمة الإسلام لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وضعت له ودلت عليه وقبوله والإنقياد للعمل به وهي كلمة الإخلاص المنافي للشرك وكلمة التقوى" . اهـ

☜-**وقال سليمان بن عبد الله** " قوله (من شهد أن لا إله إلا اللّه " أي من تكلم بهذه الكلمة عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا كما دل عليه قوله "فاعلم أنه لا إله إلا اللّه "(محمد١٩) وقوله "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" (الزخرف ٨٦) أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع وفي الحديث ما يدل على هذا وهو قوله " من شهد" إذ كيف يشهد وهو لا يعلم ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به... ". اهـ

☜-**وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي** في شرح شروط العلم كأحد شروط شهادة التوحيد لا إله إلا اللّه (الأول: (العلم) بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك قال اللّه عزوجل " فاعلم أنه لا إله إلا اللّه " وقال تعالى: " إلا من شهد بالحق وهم يعلمون "أي بلا إله إلا اللّه " وهم يعلمون " بقولهم معني ما نطقوا به بألسنتهم . وقال تعالى: " شهد اللّه أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم".
وقال تعالى: " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يذكر أولوا الألباب " وقال تعالى " إنما يخشى اللّه من عبادة العلماء " وقال تعالى " وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون " وفي الصحيح عن عثمان رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا اللّه دخل الجنة).) أ.هـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد. للشيخ حافظ بن أحمد حكمي جـ ١ صـ ٣٠٨ ط. جماعة إحياء التراث.

هــذا وقد كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه اللّه – في الرد على أحد المجادلين عن المشركين في ذلك المعنى ما يلي :

(لكن العجب العجاب استدلاله أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم دعا الناس إلى قول لا إله إلا اللّه ولم يطالبهم بمعناها، وكذلك أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فتحوا البلاد الأعاجم وقنعوا منهم بلفظها ... إلى آخر كلامه، فهل يقول هذا من يتصور ما يقول؟فنقول: أولاً هو الذي نقض كلامه وكذبه بقوله: دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان. فإذا كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان تبين أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها وهو ترك الشرك وهذا هو المطلوب).

ثم يقول (وأما دعواه أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم إلا مجرد هذه الكلمة ولم يعرفوهم بمعناها فهذا قول من لا يفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار.

فإن المؤمنين يقولونها والمنافقين يقولونها، ولكن المؤمنون يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها وعمل جوارحهم بمقتضاها، والمنافقون يقولونها من غير فهم لمعناها ولا عمل بمقتضاها.

فمن أعظم المصائب وأكبر الجهل من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين! لكن هذا – أي المجادل – لا يعرف النفاق ولا يظنه في أهل زماننا بل يظنه في زمان رسول اللّه وأصحابه، وأما زمانه فصلح بعد ذلك .. ويا ويح هذا القائل ما أجرئه على اللّه وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن أنهم لا يعلمون الناس لا إله إلا اللّه. أما علم هذا الجاهل أنهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلاً عن مسائل الشرك؟.تاريخ نجد. من رسائل شيخ الإسلام. الرسالة الرابعة صـ ٢٥٤ – ٢٥٥ .

ما هو الدليل على أن قول رسول اللّه " حتى يشهدوا أن لا اله إلا اللّه ... " يقتضي العلم بمعنى الشهادتين ؟

الجواب : " الشهادة " تقتضي العلم . قال صاحب لسان العرب :- " قال ابن سيدة : الشاهد : العالم الذي يبين ما علمه... وقال أبو بكر بن الأنباري في قول المؤذن أشهد أن لا اله إلا اللّه :- أعلم أن لا اله إلا اللّه ، وأبين أن لا اله إلا اللّه ، قال :- وقوله أشهد أن محمداً رسول اللّه ، أعلم وأبين أن محمداً رسول اللّه . وقوله " شهد اللّه أنه لا اله إلا هو " قال أبو عبيدة : معنى شهد اللّه : قضى اللّه أنه لا اله إلا هو وحقيقته :- عَلِم اللّه وبَين اللّه ، لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه.... وشهد الشاهد عند الحاكم : أي بين ما علمه وأظهره ... وسأل المنذري أحمد بن يحيى عن قول اللّه "شهد اللّه أنه لا اله إلا هو " فقال :- كل ما كان (شهد اللّه) فانه بمعنى :- علم اللّه ، قال وقال ابن الأعرابي :- معناه قال اللّه ويكون معناه علم اللّه ويكون معناه كتب اللّه . وقال ابن الأنباري :- معناه بين اللّه أنه لا اله إلا هو." اهـ

وقال القرطبي: في قوله تعالى :- " ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون "... والمعنى :- ولا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة . قاله :- سعيد بن جبير وغيره ، قال وشهادة الحق ، لا اله إلا اللّه ... (وهم يعلمون) حقيقة ما شهدوا به .
الثانية : قوله تعالى : "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون"يدل على معنيين:
أحدهما :- أن الشهادة بالحق غير نافعة إلا مع العلم ، وأن التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة .

والثاني :- أن شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالما بها، ونحوه ما روي عن النبي :- (إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع).
وقال ابن كثير :-" ... هذا استثناء منقطع أي :- لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له ".

وقال الطبري :- " فقال بعضهم معنى ذلك :- ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون الشفاعة عند اللّه لأحد إلا من شهد بالحق فوحد اللّه وأطاعه بتوحيد عن علم منه وصحة بما جاءت به رسله . قوله :- "إلا من شهد بالحق "قال : -كلمة الإخلاص . " وهم يعلمون " وهم يعلمون أن اللّه حق ، وعيسى وعزير والملائكة. يقول - لا يشفع عيسى وعزير والملائكة إلا لمن شهد بالحق وهو يعلم أنه الحق ".

وقال القرطبي :-" قوله :- (أشهد أن لا اله إلا اللّه وحده لا شريك له) أي:- أنطق بما أعلمه وأتحققه ؛ وأصل الشهادة للإخبار عما شاهده المخبر بحسه، ثم قد يقال:- على ما يحققه الإنسان ويتيقنه وإن لم يكن شاهداً للحس لأن المحقق علما كالمدرك حسا ومشاهدة ... "

وقال ابن تيمية : -" والشهادة :- لا بد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه، لا يحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور".

وقال أيضا - رحمه اللّه - قال أبو الفرج في معنى الآية قولان :- أحدهما:- أنه أراد بِـ الذين يدعون من دونه" آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيراً والملائكة . فقال :- إلا "من شهد بالحق، وهو شهادة أن لا اله إلا اللّه وهم يعلمون ،

بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم . قال :- وهذا مذهب الأكثرين ، منهم قتادة . والثاني :- أن المراد بِـ/الذين يدعون " عيسى وعزيراً والملائكة الذين عبدهم المشركون . لا يـملك هـؤلاء الشفاعة لأحـد ، إلا من شهد بالحق،وهي كلمة الإخلاص ،وهم يعلمون ، أن اللّه خلق عيسى وعزيراً والملائكة. وهذا مذهب قوم ، منهم :- مجاهد ، إلى أن قال في ص (٤٠٩ –٤١١) وهذا يتناول : الشافع والمشفوع له ، فلا يشفع إلا من شهد بالحق وهم يعلمون . فالملائكة والأنبياء والصالحون - وإن كانوا لا يملكون الشفاعة- لكن إذا أذن لهم الرب شفعوا . وهم لا يؤذن لهم إلا في الشفاعة للمؤمنين الذين يشهدون أن لا اله إلا اللّه . فيشهدون بالحق وهم يعلمون ، لا يشفعون لمن قال هذه الكلمة تقليداً للآباء والشيوخ كما جاء في الحديث الصحيح (إن الرجل يسأل في قبره ما تقول في هذاالرجل ؟فأما المؤمن فيقول :هو عبد اللّه ورسوله جاءنا بالبينات والهدى، وأما المرتاب فيقول هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته) فلهذا قال :- "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون " وقد تقدم قول ابن عباس :- يعني من قال لا اله إلا اللّه يعني : خالصاً من قلبه. والأحاديث الصحيحة الواردة في الشفاعة كلها تبين :أن الشفاعة إنما تكون في أهل (لا اله إلا اللّه). اهـ

وقال صاحب فتح المجيد شارحامعنى الشهادة :-" قوله :- (من شهد أن لا إله إلا اللّه) أي :- من تكلم بها عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً. فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال تعالى :- " فاعلم أنه لا اله إلا اللّه "وقوله :- " إلا من شهد بالحق وهم يعلمون " . أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل:- قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح ، فغير نافع بالإجماع. اهـ

قال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم :- (باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين) بل لا بد من استيقان القلب - هذه الترجمة تدل على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين :- بأن التلفظ بالشهادتين في الإيمان كاف لمن وقف عليها. وأحاديث هذا الباب تدل على فساده ، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح ، وهو باطل قطعا.

وفي هذا الحديث ما يدل على هذا وهو قول :- (من شهد) فان الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق .... وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح:- قوله :-(شهادة أن لا اله إلا اللّه) يقتضي أن يكون الشاهد عالما بأنه :- (لا اله إلا اللّه) كما قال تعالى:- " فاعلم أنه لا اله إلا اللّه " قال:- واسم اللّه مرتفع بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية ، فلا يستحقها غيره سبحانه . قال: وجملة الفائدة في ذلك :- أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان باللّه ، فإنك لما نفيت الإلـهية وأثبت الإيجاب للّه سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن باللّه .

وقال البقاعي :- (لا اله إلا اللّه) أي :- انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم ، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة ، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً ، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه ، وإلا فهو جهل صرف...فـ (لا اله إلا اللّه) لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً واعتقد ذلك بقلبه وعمل به . وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم من كلام العلماء أن هذا جهل صرف ، فهي حجة عليه بلا ريب ." اهـ

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد :-" قوله (من شهد أن لا اله إلا اللّه) أي:- من تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً ، كما دل عليه قوله :- "فاعلم أنه لا اله إلا اللّه "[محمد: ١٩]. وقوله : "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" [الزخرف: ٨٦]. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها ، فإن ذلك غير نافع بالإجماع . وفي الحديث ما يدل على ذلك وهو قوله : "من شهد "إذ كيف يشهد وهو لا يعلم، ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به ." اهـ

وقال في ص٦٠ :-" ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضاً بشهادة أن محمداً رسول اللّه ، ولم يعرف معنى الإله ومعنى الرسول وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأى الناس يفعلونه ، فتابعهم ، ولم يفعل شيئاً من الشرك فإنه لا يشك أحد من عدم إسلامه ، وقد أفتى بذلك فقهاء المغرب كلهم في أول القرن الحادي عشر، أو قبله في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب (الدر الثمين في شرح المرشد المعين) من المالكية، ثم قال شارحه:- وهذا الذي أفتوا به جلي في غاية الجلاء لا يمكن أن يختلف فيه اثنان . انتهى

ولا ريب أن عباد القبور أشد من هذا لأنهم اعتقدوا الالهية في أرباب متفرقين ." اهـ

س/قد يقول قائل : يقول رسول اللّه :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا اللّه .." ولم يقل حتى يعلموا ، فالتلفظ بالشهادتين يكفي لدخول الإسلام ولعصمة المال والدم ولو لم يعرف معناهما. فما هو الدليل على أن القول يقتضي العلم ؟

الجواب : ليس المقصود من القول في قوله "حتى يقولوا لا اله إلا اللّه ..." مجرد التلفظ دون معرفة المعنى ." فالقول " دليل على الاعتقاد :

قال صاحب لسان العرب / في معنى كلمة " قول " :- فأما تجوزهم في تسمية الاعتقادات والآراء قولاً فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لا تظهر إلا بالقول سميت قولاً ، إذ كانت سبباً له ، وكان القول دليلاً عليها ، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابساً له وكان القول دليلا عليه ...

قال شمر / - تقول قوَّلني فلان حتى قلت ، أي : علَّمني وأمرني أن أقول ، قال:- قوَّلتني وأقوَلتني أي :- علَّمتني ما أقول وأنطقتني ، وحملتني على القول. وفي حديث سعيد بن المسيب حين قيل له : ما تقول في عثمان وعلي ؟ فقال:- أقول فيهما :- ما قوَّلني اللّه –تعالى- ثم قرأ :- " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان "[سورة الحشر: ١٠] " .
ومن هنا يعلم أن المقصود بقول النبي : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا اللّه " أي : حتى يعلموا وينطقوا لا اله إلا اللّه ، فالقول هنا لا بد فيه من العلم .

قال صاحب تيسير العزيز الحميد /"وقد بين النبي بقوله (وحده لا شريك له) تنبيهاً على أن الإنسان قد يقولها وهو مشرك ، كاليهود والمنافقين وعباد القبور فإنهم لما رأوا أن النبي قد دعا قومه إلى قول لا اله إلا اللّه ظنوا أنما دعاهم إلى النطق بها فقط . وهذا جهل عظيم . وهو إنما دعاهم إليها ليقولوها ويعملوا بمعناها ويتركوا عبادة غير اللّه . ولهذا قالوا :- " أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " [الصافات: ٣٦] وقالوا :- " أجعل الآلهة إلها واحد " [ص: ٥] . فلهذا أبوا عن النطق بها. وإلا فلو قالوها وبقوا على عبادة اللات والعزى ومناة لم يكونوا مسلمين ، ولقاتلهم حتى يخلعوا الأنداد ويتركوا عبادتها ويعبدوا اللّه وحده لا شريك له ، وهذا أمر معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة والإجماع." اهـ.

د.ماجد كارم